الكلام الموجه في القرآن الكريم

إعداد

د/ حسن أحمد خفاجي

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا

ملخص الكلام الموجه في القرآن الكريم

حسن أحمد حسن خفاجي

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بطنطا

البريد الإلكتروني : Hassankhafagy@azhar.edu.eg

الملخص:

هذا البحث / الكلام الموجه في القرآن الكريم، يبين دقة التعبير القرآني بإرادة معنيين لا يترجح أحدهما عن الآخر بعبارة واحدة تجمعهما ، فبدل أن يوسع المتكلم الألفاظ ويطيل ويأتي بعبارتين ليجمع معنيين، يوجزهما ويعبر عنهما بتركيب واحد، فيصيب هدفه بسهولة ويسر، مما يكشف أسلوبا جديدا للإعجاز القرآني في نظمه وأسلوبه وتراكيبه وبيانه.

وقد وضحت من خلال النماذج الواردة عجائب التعبير القرآني الذي يأخذ بلب القارئ للوقوف على معنيين لا يستطيع ترجيح أحدهما على الآخر، وكأنك أمام فص ماس يعطي كل ضلع منه شعاعا لا تدري ماذا تأخذ عينيك، وماذا تدع ، وبينت أثر الكلام الموجه على التفسير، وأبرزت محاولة المفسرين في إظهار دقيق تعبيره ، وعجيب تراكيبه.

وانتهيت إلى النتائج

- التوجيه أو الكلام الموجه ما احتمل معنيين فقط .
- مقصد التوجيه تكثير المعاني في التعبير الواحد، فيقوم مقام جملتين وعبارتين .
- الاختلاف في معنيي التوجيه اختلاف تنوع .

❁ الجمل القرآنية تفهم بمعاني متعددة يختلف بعضها عن بعض ، ويكون جميعها مرادا.

❁ التوجيه يحتمل المعنيين دون تمييز أو ترجيح لأحدهما على الآخر.

❁ الاتيان بأكثر من معنى يحتمله التعبير بدقة؛ دليل إعجاز القرآن.

❁ أكثر أوجه التوجيه احتمال عود الضمير على معنيين .

❁ اختلاف الجذر اللغوي للمفردة يعطي معنى مختلف لكل جذر غير الآخر فيكثر المعنى.

الكلمات المفتاحية : الكلام الموجه ، التوجيه ، عود الضـــمير على معنيين، احتمال الاشتقاق أمران ، الموجه ، المشاكل ، احتمال معنيين.

Directed speech in the Holy Quran

Hassan Ahmed Hassan Khafagy

Department of Interpretation and Qur'an Sciences at The Faculty of The Origins of Religion in Batanta

Email: Hassankhafagy@azhar.edu.eg

Abstract:

This research / directed speech in the Noble Qur'an, shows the accuracy of the Qur'anic expression with the will of two meanings, one of which is not outweighed by the other, with one phrase that combines them. For the Qur'anic miracles in its systems, style, structures and statement.

Through the mentioned models, the wonders of the Qur'anic expression that takes the reader's heart to find out two meanings that he cannot give preference to one over the other, have been made clear, as if you are in front of a diamond lobe that gives each side a ray, and you do not know what your eyes take, and what you let go. Exegetes to show accurate expression, and wondrous structures.

And you're done with the results

Direction or directed speech is only possible with two meanings.

expression, so it takes the place of two sentences and two phrases.

The difference in the meaning of guidance is the difference of diversity.

Qur’anic sentences are understood with multiple meanings that differ from each other, and all of them are intended.

Guidance is possible for the two stakeholders without discrimination or giving preference to one over the other.

To come up with more than one meaning that can be accurately expressed; A guide to the miracle of the Qur'an.

Most directives are likely to return the conscience to two meanings.

The difference in the linguistic root of the word gives a different meaning to each root other than the other, which increases the meaning.

Keywords: : Directed speech, guidance, recidivism on two meanings, the possibility of derivation two things, the directive, problems, the possibility of two meanings.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه على أحسن أسلوب، وبهر ببلاغة تراكيبه القلوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له علاّم الغيوب، بذكره تطمئن القلوب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي المحبوب، صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى وآله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعد المحسوب.

وبعد ،

فالقرآن الكريم البحر الخضم البعيد قعره، والنهر الماد الذي لا ييبس ولا ينضب، لا يدانيه أيّ كلام، ولا يضاهيه أيّ بيان، تحدى الله به أرباب البلاغة، فعجزوا عن مجاراته والإتيان بشبيه عبارته، وقد عكف عليه الدارسون منذ النزول لاستخراج اللآلئ المكنونة والدرر المصونة؛ لما امتاز به من أساليب تأخذ الألباب وتسحر العقول؛ والتي منها جمع أكثر من معنى في تعبير واحد، وتكون المعاني مرادة، فبدلا من أن يوسع المتكلم الألفاظ ويطيل ليجمع معنيين؛ يأتي بعبارة واحدة تجمعهما؛ فيوجز التعبير ويصيب هدفه بسهولة ويسر من غير خلل، مما يكشف أسلوبا جديدا للإعجاز القرآني في نظمه وأسلوبه وتراكيبه وبيانه؛ ولما كنت بصدد إعداد بحث بعنوان : المحتمل الضدين في القرآن الكريم، وأثناء جمعه تبين وجود معنيين محتملين في التركيب وليس في الكلمة الواحدة مما يطلق عليه المفسرون التوجيه أو الكلام الموجه، ينتقل الكلام من معنى إلى آخر، ويضيف إليه معنى جديدا دون ترك الأول؛ فيتعدد المعنى ويستعمل في كليهما، ومواضعه في القرآن كثيرة فأردت التوقف مع بعضها؛ لإبراز جماليات هذا الأسلوب من خلال هذا البحث / الكلام الموجه في القرآن الكريم .

أسباب اختيار الموضوع :

١ – إظهار أثر الكلام الموجه في التفسير وتجليته من خلال آي القرآن.

٢ – بيان بلاغة القرآن في الكلام الموجه من خلال اختصار الجملتين أو العبارتين بلفظ واحد.

٣ – الكشف عن دقائق النظم القرآني في إرادة المعنيين المحتملين دون ترجيح أحدهما .

منهج البحث

سلكت المناهج العلمية المناسبة لمقتضى البحث من المنهج الاستقرائي الناقص والتحليلي والاستنباطي والنقدي، وسأقتصر على بعض الأمثلة التي نص عليها أحد المفسرين بكونها كلاما موجها .

الدراسات السابقة

أ – بيان الدراسات السابقة :

لم أجد في حدود اطلاعي ومعرفتي بحثا تناول الكلام الموجه في القرآن الكريم .

خطة البحث:

يتكون البحث من : مقدمة ، و مبحثين ، وخاتمة .

المقدمة وتشتمل على :

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث ، والدراسات السابقة، وخطة البحث

المبحث الأول : احتمال عود الضمير على معنيين.

المبحث الثاني : احتمال الاشتقاق أمران .

ثم الخاتمة – أسأل الله حسنها – متضمنة لأهم النتائج .

فالله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة: ٤

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وَصلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا محمد وَعَلَى آلِهِ وَصحبه وَسلِّم

المقدمة

- **وتشتمل على:**

✓ **أولا**: تعريف التوجيه أو الكلام الموجه لغة.

✓ **ثانيا**: تعريف الكلام الموجه عند البلاغيين.

✓ **ثالثا**: تعريف الكلام الموجه عند المفسرين.

✓ **رابعا**: الفرق بين التوجيه والمصطلحات القريبة.

✓ **خامسا**: مكانة الكلام الموجه.

تعريف الكلام الموجه

الكلام الموجه أو التوجيه مصطلحان يطلقان على شيء واحد وهو: إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين، فيعرف بأيهما كما يتبين في ثنايا البحث .

تعريف التوجيه في اللغة :

المتأمل في مادة – و ج هـ – يجد أنها ترد في اللغة على معاني متعددة منها :

المقابلة :

الواو والجيم والهاء: أصل واحد يدل على مقابلة الشيء. والوجه مستقبل لكل شيء... ووجهت الشيء: جعلته على جهة، تقول: توجه بمعنى ولى وجهه إليه، و قابل وجهه بوجهه [1] .

السبيل المقصود:

الوجه من الكلام: السبيل المقصود [2] .

فالوجه : الجهة والناحية المتوجه إليها والمقصود بها.

---

[1] **ينظر** : مقاييس اللغة لابن فارس ٨٨/٦ ، دار الفكر ، طبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، لسان العرب لابن منظور ٥٥٧/١٣ ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

[2] **ينظر** : تاج العروس للزبيدي ٥٣٦/٣٦ ، دار الهداية.

ثانيا : تعريف التوجيه عند البلاغيين

اختلف البلاغيون في تحديد معنى دقيق للكلام الموجه بعد الإمام السكاكي؛ فاستعملوه بمثل ما وضعه ، وأضافوا له معنيي التورية والابهام باعتبار العموم كابن أبي الاصبع، و جاء ابن حجة الحموي جامعا بين الأقوال ومظهرا الفرق بين المصطلحات القريبة، وقد استقر عمل البلاغيين على تعريفي السكاكي وابن حجة الحموي :

١ – تعريف **السكاكي** : إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور : ليت عينيه سواء[١].

فيحتمل أن تكون العوراء مثل الصحيحة في الرؤية، ويحتمل عكس ذلك، فتحتمل التساوي في عينيه بالعمى ، وتحتمل التساوي في الإبصار.

٢ – تعريف **ابن حجة الحموي** : أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالًا مطلقًا، من غير تقييد بمدح أو غيره.[٢]

---

[١] **ينظر** : مفتاح العلوم للسكاكي١ / ٤٢٧، دار الكتب العلمية– بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

[٢] ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٣٠٢/١ ، دار الهلال–بيروت، الطبعة: ٢٠٠٤م .

ثالثا : تعريف التوجيه عند أهل التفسير

تعريف الكلام الموجه عند المفسرين لا يخرج عن تعريف البلاغيين الذي استقر عليه العمل:

١ – **عند الإمام الزركشي:** التوجيه: هو ما احتمل معنيين ويؤتى به عند فطنة المخاطب[١].

٢ – **عند السيوطي:** صدر التعاريف بقوله عرفه قوم : أن يحتمل الكلام وجهين متباينين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو ذم أو غيره.[٢].

ثم شرع بإيراد التعاريف ونقدها بقوله: وهذا رأي لا نرضاه أو بذكر علل التعريف، وكأنه ارتضى ما صدره .

٢– **ابن عاشور:** الكلام الموجه: المحتمل معنيين غير متخالفين، وهو من بديع أساليب الإعجاز[٣] .

فيلاحظ من التعاريف السابقة أن التوجيه أو الكلام الموجه هو :

١ – ما احتمل معنيين مطلقا.

---

[١] ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣١٤/٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

[٢] ينظر: شرح عقود الجمان للسيوطي صـ ٢٩٠، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠١١ م .

[٣] ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٢/١٢، الدار التونسية للنشر – تونس، الطبعة: ١٩٨٤ هـ .

٢ – المعنيان يحتملهما التعبير من غير ترجيح أو تمييز أحدهما.

رابعا : الفرق بين التوجيه والمصطلحات القريبة

أولاً: الفرق بين التوجيه ومحتمل الضدين :

محتمل الضدين هو: اللفظ الواحد الدال على معنيين أحدهما ضد الآخر[١].

ولكن يفرق بينه وبين التوجيه من أوجه :

١ – أنَّ محتمل الضدين يكون باللفظة الواحدة، والتوجيه يكون بألفاظ متلائمة.

٢ – الاختلاف في الأضداد اختلاف تضاد ، وفي التوجيه اختلاف تنوع[٢].

---

[١] **ينظر:** الأضداد لقطرب صـ ٧٠، دار العلوم – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ– ١٩٨٤ م ، مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن صـ ٣٤٦ ، مكتبة الخانجي – القاهرة ، وقد طبع تحت عنوان الفوائد: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم صـ ١٦٥، مطبعة السعادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ .

[٢] الفرق بين اختلاف التنوع والتضاد:

اختلاف التنوع: أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكن العبارتين مختلفتان.

ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.

==

ثانيا : الفرق بين التوجيه والإبهام:

فقد عرف بعض البلاغيين كالحموي **التوجيه بإبهام المتقدمين**، لأن الاصطلاح فيهما واحد، غير أن الشواهد التي استشهدوا بها على التوجيه، الإبهام أحق بها لطلوع أهلتها زاهرة في أفقه، ولمطابقة التسمية، فإنهم يستشهدون على التوجيه، بقول الشاعر في الحسن ابن سهل، عندما زوج ابنته بوران بالخليفة:

بارِكَ الله للحسنْ *** ولبورانَ في الختنْ

يا إمامَ الهدى ظفرْ *** تَ ولكنْ ببنتِ منْ[1].

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من، في الرفعة أو في الحقارة.

الحسن بن سهل قال له: أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته؟ فقال: لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع، كان كثير الولوع بهذا النوع.

واتفق أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه زيد، كذا نقله ابن أبي الأصبع، فقال له الخياط، على سبيل العبث سآتيك به لا تدري، أقباء هو أم دوّاج، فقال له الشاعر إن فعلت ذلك نظمت فيك بيتًا لا يعلم من سمعه، أدعوت لك أم دعوت عليك، ففعل الخياط فقال الشاعر:

واختلاف التضاد: هما القولان المتنافيان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر . ينظر: التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين لأبي محمد البطليوسي صـ ٥١، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٩٧٨م ، الموافقات للشاطبي ٥/٢١٠، دار ابن عفان السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م

(١) البيتان لمحمد بن حازم الباهلي من شعراء العصر العباسي ، ينظر: ديوان محمد بن حازم الباهلي صـ ١٠٦ ، دار قتيبة – دمشق، طبعة :١٩٨٢ م.

خاط لي زيد قباء *** ليت عينيه سواء[١]

فإن قيل: قصد التساوي في عينيه بالعمى صح، وإن قيل: إنه قصد التساوي في الإبصار صح.. والسكاكي ومن تبعه سموا هذ النوع: التوجيه، ونسج الناس على منوالهم، إلى أن تخير ابن أبي الأصبع نوع الإبهام، وقرر له الشواهد ...

ثم قال ابن حجة: ولم أسمع من شواهد الإبهام، غير البيت المنظوم في الخياط والبيتين المنظومين في الحسن بن سهل، وهذا النوع صعب المسلك في نظمه، لأن المراد من الناظم أن يبهم المعنيين، بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر.

فالمتقدمون نزلوه منزلة الإبهام، وسموه توجيهًا [٢].

والذي يظهر لي أنَّ الإبهام غير التوجيه فالإبهام أعم من التوجيه .

وزاد السيوطي بأن الإبهام وجه يحتمله الكلام لفساد مفهوم كلام المتكلم بما أبداه من التأويل فيستحضر وجها يتخلص به ويحتمله التعبير، فقال: " الذي عليه حذّاق الصنعة وأصحاب البديعيات، أنّ هذا التفسير للنوع المسمى بالإبهام بالباء الموحدة كما اخترعه ابن أبي الإصبع، وسماه وعرفه بذلك، وقريب من هذا النوع المواربة، قال ابن أبي الإصبع: "هي مشتقة من الوَرَب بفتحتين، وهو العرق إذا فسد، كأن المتكلم أفسد مفهوم كلامه بما أبداه من التأويل، وذلك أن يقول المتكلم قولًا يتضمن ما ينكر عليه، فإذا حصل الإنكار

---

[١] البيت منسوب لبشار كما في تحرير التحبير لابن أبي الإصبع صـ ٦٧، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– مصر، وهو غير موجود في الديوان .

[٢] ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٠٢/١ .

استحضر بحذقه وجهًا من الوجوه يتخلص به، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص[١] .

ثالثا : الفرق بين التوجيه والتورية:

والفرق بين التوجيه والتورية من وجهين:

أحدهما: أنَّ التورية أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد، ويراد البعيد، أمَّا التوجيه؛ فهو بيان معنيين لا يتميز أحدهما عن الآخر.

والثاني: أن التورية تكون باللفظة الواحدة، والتوجيه لا يصح إلا بعدة ألفاظ متلائمة [٢] .

---

[١] ينظر: شرح عقود الجمان للسيوطي صـ ٢٩١.

[٢] ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٠٢/١ .

خامسا : مكانة التوجيه وأهميته

للقرآن الكريم ألفاظه وتعبيراته الخاصة به ، ولا يمكن لتعبير أخر أن يؤدي المعنى الذي أفاده، وقد استعمل اللفظ المحتمل معنيين مرادين دون ترجيح لأحدهما وذلك لأغراض منها:

❁ **تكثير المعاني بألفاظ قليلة** ، فبدل أن يطيل الكلام ويأتي بعبارتين، يوجزهما ويعبر عنهما بتركيب واحد، و ابن جني ذكر في الخصائص تحت عنوان: باب في اللفظ يرد محتملًا لأمرين أحدهما أقوى من صاحبه.

أيجازان جميعًا فيه، أم يقتصر على الأقوى منهما دون صاحبه؟

اعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منهما مذهبًا، ولا يمتنع مع ذلك أن يكون الآخر مرادًا، وقولًا من ذلك قوله :

عُمَيرة وَدِّع إن تجهّزتَ غاديًا *** كَفَى الشّيبُ والإسْلَامُ للمَرْءِ ناهيا [1]

فالقول أن يكون ناهيًا اسم الفاعل من نهيت كساعٍ من سعيت وسار من سريت، وقد يجوز مع هذا أن يكون ناهيًا هنا مصدرًا كالفالج ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على فاعل حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيًا وردعًا، أي: ذا نهي فحذف المضاف وعلقت اللام بما يدل عليه الكلام.[2]

ومنه قوله ﴿ **وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** ﴾فهو من الكلام الموجه، فالضمير في ﴿

---

[1] البيت لسحيم عبد بني الحسحاس في ديوانه صـ ١٦، دار الكتب المصرية– القاهرة، طبعة ١٩٥٠م، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ١/ ٢٦٧،مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م

[2] ينظر: الخصائص لابن جني ٤٩١/٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة .

لَهُ ﴾ يحتمل أن يكون لموسى، وأن يكون لفرعون، كما يتبين في ثنايا البحث.

❁ إيراد المعاني التي يحتملها النص

ففي مقدمات العلامة ابن عاشور العشر لتفسيره جعل المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها والتي ذكر فيها :

القرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم. وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقا بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ، في أقل ما يمكن من المقدار، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبارات، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى، فمعتاد البلغاء إيداع المتكلم معنى يدعوه إليه غرض كلامه وترك غيره والقرآن ينبغي أن يودع من المعاني كل ما يحتاج السامعون إلى علمه وكل ما له حظ في البلاغة سواء كانت متساوية أم متفاوتة في البلاغة إذا كان المعنى الأعلى مقصودا وكان ما هو أدنى منه مرادا معه لا مرادا دونه سواء كانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور أم كانت متفاوتة بعضها أظهر من بعض.. وقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر تكثيرا للمعاني مع إيجاز اللفظ وهذا من وجوه الإعجاز.[1]

فطريقة الكلام الموجه تكثيرا للمعاني مع الإيجاز، وتصور المعنيين في التوجيه يأتي بدرجة واحدة لا قُرب ولا بعد في أحدهما.

---

[1] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٩٣/١.

❁ دعوة إلى التدبر وإثراء التفسير بالمعاني

فالتوجيه أثرى التفسير بالمعاني العديدة التي تفتح باب التدبر حول كل معنى يتأتى من هذا الوجه، والمفسرون يعرض كل منهم التوجيه المحتمل للمعنيين، فيثري كل منهم التفسير بوجهة خاصة به مما يكمل المعنى ويخرجه في صورة متكاملة، مما يدعو إلى فتح باب التدبر والتأمل الذي يأخذ بلب القارئ للوقوف على معنيين محتملين، لا يستطيع ترجيح أحدهما؛ فيتعجب من دقة التعبير.

فعند تأمل الآية الواحدة وتدبرها تنهال معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر ولا يكون الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر.[١]

وهذه عجيبة في القرآن ولا تكون فيما سواه؛ ذلك أن الناس إذا عمدوا إلى تحديد أغراضهم لم تتسع لتأويل، وإذا أجملوها ذهبوا إلى الإبهام أو الإلباس، أو إلى اللغو الذي لا يفيد، ولا يكاد يجتمع لهم هذان الطرفان في كلام واحد... حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهًا عدة كلها صحيح أو محتمل للصحة، كأنما هي فص من الماس يعطي كل ضلع منه شعاعًا، فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها، فلا تدري ماذا تأخذ عينك وماذا تدع، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت، وهكذا نجد كتابًا مفتوحًا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له؛ بل ترى محيطًا مترامي الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال.[٢]

---

[١] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٩٧/١.

[٢] ينظر: النبأ العظيم د/ محمد دراز صـ ١٤٦ ، دار طيبة – الرياض ،الطبعة : الأولى ==

❁ **بيان وجوه من وجوه الإعجاز** ، فهو يظهر دقيق تعبيره، وتحريره، وصدق الرافعي: " إنك لتحارُ إذا تأملت تركيب القرآن ونظمَ كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها؛ وتعقد بك العبارة إذا أنتَ حاولت أن تمضي في وصفه حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك وأجمعَ لما في نفسك وأبينَ لهذه الحقيقة، غير كلمة الإعجاز.

وما عسى أن تقول في كلام ترى للفظ من الألفاظ فيه معنى؛ ثم ترى كأن لهذا المعنى في التركيب معنى آخر، هو الذي يفيض على النفس ويتصل بها فكأنه كلام مداخل وكأن اللغة فيه لغتان...

ثم ماذا يبلغ القول من صفة هذا التركيب العجيب، وأنت ترى أن أعجب منه مجيئه على هذا الوجه الذي يستنفد كل ما في العقول البيانية من الفكر، وكل ما في القوى من أسباب البحث؛ كأنما ركب على مقادير العقول والقوى وآلاتِ العلوم وأحوال العصور المغيبة؛ فتراه يتخير من الألفاظ على درجات ليس معنى العجب فيها أن يقع التخير عليها، ولكن العجب أن تستجيب ألفاظه على هذا الوجه المعجز" [1] .

١٩٩٧ م.

[1] ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي صـ ١٧٠ ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

المبحث الأول

احتمال عود الضمير على معنيين

- **ويشتمل على المسائل التالية:**

✓ **المسألة الأولى:** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ﴾

✓ **المسألة الثانية :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

✓ **المسألة الثالثة:** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ﴾

✓ **المسألة الرابعة:**ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾

✓ **المسألة الخامسة :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾

✓ **المسألة السادسة:** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾

إن عود الضمير في القرآن يحتاج إلى التأمل والتدبر لما يشير إليه من جماليات التعبير، ودقة الأسلوب القرآني، مما لا يتسع المقام لبسطه .

فالضمائر سواء أكانت للمتكلم، أم المخاطب، أم الغائب، لا تخلو من إبهام وغموض، فلا بد من شيء يفسر غموضها، ويزيل إبهامها، فالمتكلم والمخاطب يفسرهما المشاهدة أي: وجود ما قبلهما وقت الكلام، المتكلم يتكلم بنفسه، والمخاطب يكلمه غيره مباشرة، والغائب لا بد له من مفسر يوضحه بما يعرف بمرجع الضمير، والأصل فيه أن يكون مقدما وسابقا؛ ليعلم المعنى بالضمير عند ذكره بعده بعد مفسره[١].

والضمير لا بد له من مفسر يفسره ويوضحه؛ ولكن البيان القرآني تفنن في عود الضمير باحتمالات كثيرة دالة على إعجازه، وهو كثير في آي القرآن، كما يقول الدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة: أسلوب القرآن معجز، لذلك احتمل كثيرًا من المعاني وكثيرًا من الوجوه، ومن ذلك أيضًا صلاحية الضمير، لأن يعود على أشياء متنوعة سبقته، وقع ذلك في القرآن كثيرًا جدًا. [٢].

والقصد في هذه الصفحات ما احتمل عوده على معنيين، ونص أحد المفسرين على كونه توجيها أو كلاما موجها، كما ذكر الآلوسي في تفسيره لقوله ﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾: واحتمال الضمير لأمرين مما لا تختص به اللغة العربية بل يكون في جميع اللغات ... ويسمى هذا الاسلوب من الكلام

---

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب ٤٠٦/٢، جامعة قار يونس – ليبيا، طبعة: ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ٢٦٣/١، المكتبة التوفيقية – مصر .

(٢) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة ٢١/٨ ، دار الحديث–القاهرة.

الموجه[1].

المسألة الأولى : ما احتمل معنيين في قوله تعالى ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ﴾

قال تعالى :﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾ آل عمران : ١٣

البيان القرآني يخبرنا بمشهد من مشاهد بدر يبين نصر الله تعالى المؤمنين مع قلة عددهم ، وهزيمة الكافرين من خلال الرؤية في قوله تعالى ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ﴾ [2]وقد احتمل مرجع الضمير معنين:

الأول : رؤية المشركين.

الثاني : رؤية المسلمين.

الأول : رؤية المشركين

يرى المشركون المسلمين مثلى عددهم، فقد أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم، فلما رأوا المسلمين ضعف عددهم؛ وقع الرعب والجزع

---

(1) ينظر: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٢٠/٥٠، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(2) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ بياء الغيب ، ونافع ﴿ تَرَوْنَهُمْ ﴾. ينظر : النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٣٨،المكتبة التجارية – مصر، معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ١/٤٥٠، دار سعد الدين – دمشق ، الطبعة : الأولى ٢٠٠٢م .

والهلع في قلوبهم فانهزموا، وكان ذلك مددا لهم من الله انتصر به المسلمون كما أمدهم بالملائكة.[1]

وذلك لأن الضمير في قوله ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ راجع إلى ﴿ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾ باعتبار القرب.

الثاني : رؤية المسلمين

يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ﴿ فَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾ بعدما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة في قوله – تعالى – ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾ فقوت قلوبهم، وذلك لأن الضمير في قوله ﴿ يَرَوْنَهُمْ ﴾ راجع إلى ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ ﴾ .

فالآية الكريمة احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد .

وقد تساءل الإمام الطبري أيّ الفئتين رأت صاحبتها مثليها؟ الفئة المسلمةُ هي التي رأت المشركة مثليها، أم المشركة هي التي رأت المسلمة كذلك، أم غيرهما رأت إحداهما كذلك؟

فاختلف أهل التأويل في ذلك:

فقال بعضهم: الفئة التي رأت الأخرى مثلى أنفسها، الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلي عدد الفئة المسلمة، قلَّلها الله عز وجل في أعينها حتى

---

[1] ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٤٣/٢ ، دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة : الأولى ١٩٩٧م.

رأتها مثلي عدد أنفسها، ثم قللها في حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنّ الله أرى الفئةَ الكافرةَ عددَ الفئة المسلمة مثلَيْ عددهم.

وقد رجح رؤية المؤمنين للمشركين، مستدلا بقول ابن مسعود: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ** ﴾ آل عمران : ١٣، قال: هذا يوم بدر.

قال عبد الله بن مسعود: قد نظرنا إلى المشركين، فرأيناهم يُضْعِفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدًا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ** ﴾ سورة الأنفال: ٤٤ [١].

ولكن قد ورد اعتراضان:

أحدهما: أن المشركين في بدر كانوا ثلاثة أمثال المؤمنين تقريبا ولم يكونوا ضعفهم.

ثانيهما: أن الله سبحانه قد قال في غزوة بدر: ﴿ **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً** ﴾ سورة الأنفال: ٤٤

وإن رد الاعتراض الأول سهل؛ فإن العين لَا تقدر تقديرا عدديا، ولكنها

---

[١] ينظر: تفسير جامع البيان للطبري ٦/٢٣٣ ، ٢٣٤ ، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، التفسير الوسيط ٢/٤٣ .

تقدر تقديرا تقريبيا؛ فثلاثة الأمثال قد تُرى رأي العين مثلين.

وقد يقال إن المراد بكلمة مثلين ليس التثنية إنما المراد مجرد التكرار، وإن ذلك شائع، فيقال مثلا: اقرأ هذا مرتين ولا تكتف بالنظرة الأولى، والمراد التكرار.

أما الاعتراض الثاني، فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأى الأخرى، فقد قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم، فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا، فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين. [١]

والأولى احتمال المعنيين لا يترجح أحدهما على الآخر، فالآية جاءت بأسلوب الإيجاز على طريقة التوجيه كما يقول ابن عاشور: إن كان الراءون هم المشركون، أو إن كان الراءون هم المسلمون؛ لأن كليهما جرى ضميره على الغيبة وكلتا الرؤيتين قد وقعت يوم بدر وكل فئة علمت رؤيتها وتُحديت بهاته الآية .. فيفيد اللفظ آيتين على التوزيع بطريقة التوجيه [٢].

ويرجحه الشيخ الشعراوي: فالآية تثبت كثرة، سواء كثرة المؤمنين أو كثرة الكافرين.

والمشككون في القرآن يقولون: كيف يتناول القرآن موقعة واحدة على أمرين مختلفين؟

ونقول لهؤلاء المشككين: أنتم قليلو الفطنة؛ لأن هناك فرقاً بين الشجاعة

---

[١] ينظر: تفسير جامع البيان ٢٣٣/٦ ، زهرة التفاسير للشيخ/ محمد أبو زهرة ١١٢٩/٣ ، دار الفكر العربي–بيروت، محاسن التأويل للقاسمي٢٩٠/٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

[٢] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٧٨/٣ .

في الإقبال على المعركة وبين الروح العملية والمعنوية التي تسيطر على المقاتل أثناء المعركة، والحق سبحانه قد تكلم عن الحالين: قلل الحق هؤلاء في أعين هؤلاء، وقلل هؤلاء في أعين هؤلاء، لأن المؤمنين حين يرون الكافرين قليلا فإنهم يتزودون بالجرأة وطاقة الإيمان ليحققوا النصر، والكافرون عندما يرون المؤمنين قلة فإنهم يستهينون بهم ويتراخون عند مواجهتهم . [١]

وهذا أدى إلى تنوع الخطاب، فالآية تحتمل أن يخاطب بها المؤمنون وأن يخاطب بها جميع الكفار، فالمخاطب بهذه الرؤية على قولين:

أحدهما: أنها الفئة المؤمنة التي تقاتل في سبيل الله، بأن أراهم الله مشركي قريش يوم بدر مثلي عدد أنفسهم، فقلّلهم الله في أعينهم تقوية لنفوسهم، وتشجيعها.

الثاني: أن الفئة التي أراها الله ذلك هي الفئة الكافرة، أراهم الله المسلمين مثلي عددهم مكثرا لهم، لتضعف به قلوبهم، و الآية في الفئتين هي تقليل الكثير في أعين المسلمين، و تكثير القليل في أعين المشركين ، والقصد تقرير الآية في الفئتين، و في التقائهما و اجتماعهما .[٢]

فهذه الآية احتملت معنيين متغايرين، وتلك الغيرية احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للمشركين في وقت واحد، وليس هناك ما يرجح واحدا

---

[١] ينظر: تفسير الشيخ الشعراوي٣/١٣٠٤ ، مطابع أخبار اليوم – القاهرة ، طبعة : ١٩٩٧ م .

[٢] ينظر: تفسير النكت والعيون للماوردي ١/٣٧٤، دار الكتب العلمية – بيروت، تفسير المحرر الوجيز لابن عطية١/٤٠٦ ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ .

على الآخر لأن كلا منهما يصح إطلاقه في الآية، فالتقليل والتكثير حالين مختلفين، فتقليلهم تارة، وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة، وأظهر للآية.

ولو أراد التنصيص على أحد المعنيين لذكره كما ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾ سورة الأنفال: ٤٤

فالمطلوب رؤية المشركين المسلمين مثلي عددهم ليهابوهم، ورؤية المسلمين المشركين مثليهم فتقوى قلوبهم بعد ما قرر لهم ﴿ فَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ ﴾

فجاء التعبير بهذه الصيغة ﴿ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ﴾ ليقوم مقام جملتين، وليشمل المعنيين، بتعبير موجز معجز، فسبحان من دقت كلماته، وأوجزت عبارته، وأعجزت آياته.

المسألة الثانية : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

قال تعالى:﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾يوسف: ٢٣

تخبرنا الآية الكريمة عما قاله سيدنا يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز بقوله ﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾: ولاختلاف عود ضمير﴿ إِنَّهُ ﴾ اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ رَبِّي ﴾ على قولين:

الأول : زوج المرأة.

الثاني : الله .

القول الأول : المراد بالرب زوج المرأة

فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ كلمة ربّ استعملت هنا بالمدلول الواسع، بمعنى عزيز مصر، وذلك ظاهر؛ فلما اشترى العزيز يوسف من السيارة أمر زوجه بإكرام مثواه ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ يوسف : ٢١ .

والتقدير : معاذ الله أن أقابل من اشتراني بماله، وأحسن منزلي، وأمرك بإكرامي بالخيانة له في عرضه، فلا يليق بالعقل أن أجازيه على ذلك الإحسان بهذه الخيانة القبيحة.[١]

---

[١] ينظر: تفسير جامع البيان ٣٢/١٦ ، تفسير المحرر الوجيز ٢٣٣/٣ ، تفسير مفاتيح الغيب ٤٣٨/١٨، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي٣٣٩/٧ .

وهذه الكلمة أطلقت أكثر من مرة على غير الله سبحانه على لسان سيدنا يوسف عليه السلام وعلى لسان غيره، فسيدنا يوسف عليه السلام عندما فسر الرؤيا لصاحبي السجن ﴿ يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾ يوسف : ٤١، وطلب ممن بشّره بالنجاة أن يذكره عند ملك مصر ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ يوسف : ٤٢ ، وعندما جاءه رسول ملك مصر ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ يوسف : ٥٠ ، فقد استعمل الرب في غير الله .

القول الثاني : المراد بالرب الله

ذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الرب في قوله تعالى ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يوسف : ٢٣ يقصد به الله؛ وذلك لقرب ذكر لفظ الجلالة من موقع الضمير فقوله ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ وقع بعده﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ وعود الضمير في ﴿ إِنَّهُ رَبِّي ﴾ عليه .

فيكون لفظ ربى بمعنى الله، والتقدير : قال يوسف عليه السلام في الرد عليها: معاذ الله أن أفعل الفحشاء والمنكر، بعد أن أكرمني الله عز وجل بما أكرمني به من النجاة من الجب، ومن تهيئة الأسباب التي جعلتني أعيش معززا مكرما، وإذا كان سبحانه قد حباني كل هذه النعم فيكف ارتكب ما يغضبه ؟ [1] .

وقد اختار أبو حيان عود الضمير إلى الله فقال: والضمير في ﴿ إِنَّهُ

[1] ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٣٣٩/٧ .

﴿ الأصح أنه يعود على الله ﷻ أي: إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب، وأقامني في أحسن مقام. [١]

وجزم الصاوي عوده على الله وقال : الضمير يعود على الله ﷻ ، وهو الأقرب والأظهر [٢] .

ولكن احتمال المعنيين لبيان العذرين بلفظ واحد ، مما يعرف بالكلام الموجه أولى كما قال ابن عاشور: وهذا من الكلام الموجّه توجيهاً بليغاً حكي به كلام يوسف عليه السلام إمّا لأن يوسف عليه السّلام أتى بمثل هذا التركيب في لغة القِبط ، وإما لأنه أتى بتركيبين عُذرين لامتناعه فحكاهما القرآن بطريقة الإيجاز والتوجيه ..

ثم علل ذلك : وذُكِرَ وصف الرب على الاحتمالين لما يؤذن به من وجوب طاعته وشكره على نعمة الإيجاد بالنسبة إلى الله ، ونعمة التربية بالنسبة لمولاه العزيز [٣] .

فلو أراد البيان القرآني تخصيص أحد المعنيين لبينه كما في قوله﴿ **إِنَّ اللَّهَ رَبِّي** ﴾، ولكنه أراد بيان العذرين لامتناعه عليه السلام في آن واحد ، فجمع بين الحالين والعذرين بتعبير موجز.

---

[١] ينظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٢٥٧/٦ ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، تفسير روح المعاني ٤٠٢/٦ .

[٢] ينظر: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ٢٠٣/٢، طبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة : الأولى ١٩٢٦ م.

[٣] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٥١/١٢ .

المسألة الثالثة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾

قال تعالى:﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِين ۔﴾ يوسف : ٤٢

الآية الكريمة تخبرنا بوصية سيدنا يوسف عليه السلام لأحد السجينين الناجي فجاء التعبير القرآني بالضمير﴿**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ** ﴾ واختلف المفسرون في عود الضمير﴿**فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ**﴾ على قولين:

الأول : ساقي الملك.

الثاني : يوسف.

القول الأول : الضمير يعود على ساقي الملك

ذهب جماعة من المفسرين إلى أن الضمير في ﴿ **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ**﴾ يعود ﴿ **لِلَّذِى** ﴾ ، أي أنسى الشيطان الذي نجا وهو الساقي أن يذكر يوسف عليه السلام لربه وهو سيده الملك، فلبث في السجن بضع سنين.

و يدل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ **وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ** ﴾ يوسف : ٤٥ ، على أن الضمير في قوله ﴿ **فَأَنْسَاهُ** ﴾ يعود إلى ساقى الملك [١] .

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي٧/٣٦٤ .

القول الثاني : الضمير يعود على يوسف

بعض المفسرين ذكر عود الضمير في ﴿ **فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ** ﴾ إلى يوسف عليه السلام، فالشيطان أنسى يوسف عليه السلام ذكر الله سبحانه فتعلق بذيل غيره في نجاته من السجن؛ فعوقب على ذلك .

وجزم الإمام الرازي بعود الضمير إلى يوسف عليه السلام، بقوله: والذي جربته من أول عمري إلى آخره أن الإنسان كلما عول في أمر من الأمور على غير الله صار ذلك سببا إلى البلاء والمحنة، والشدة والرزية، وإذا عول العبد على الله ولم يرجع إلى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت لي من أول عمري إلى هذا الوقت الذي بلغت فيه إلى السابع والخمسين، فعند هذا استقر قلبي على أنه لا مصلحة للإنسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى وإحسانه، ومن الناس من رجح القول الثاني لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل أولى من صرفها إلى يوسف الصديق، ولأن الاستعانة بالعباد في التخلص من الظلم جائزة.

واعلم أن الحق هو القول الأول – أي: مرجع الضمير إلى يوسف عليه السلام [1].

فالإمام الرازي رجحه بالواقع والمشاهدة، ولكن السياق القرآني بين كون يوسف من المحسنين والمخلصين ونص على أن المخلصين لا سبيل للشيطان إليهم، فهو مخالف لما جاء بنص القرآن.

ولذا يعلق الدكتور / محمد سيد طنطاوي قائلا: ونحن مع احترامنا لرأى

---

[1] ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٤٦٢/١٨ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

الفخر الرازي، إلا أننا ما زلنا نرى أن عودة الضمير في قوله ﴿ فَأَنْسَاهُ ﴾ إلى الساقي الذي ظن يوسف أنه هو الناجي من العقوبة، أولى لما سبق أن ذكرناه[١].

ورجح الأول الإمام الآلوسي: وأنت تعلم أن الأول هو المناسب لمكان الفاء، ولقوله تعالى الآتي: ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ يوسف : ٤٥[٢] ، واستدل بقول ابن كثير: وقوله ﴿ اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾ يوسف : ٤٢ ،أي: قال يوسف عليه السلام: اذكر قصتي عند ربك وهو الملك، فنسى ذلك الموصي أن يذكر مولاه بذلك، وكان نسيانه من جملة مكايد الشيطان . . هذا هو الصواب أن الضمير في قوله : ﴿ فَأَنْسَاهُ ﴾. . عائد على الناجي كما قال غير واحد [٣] .

ورجح ابن عاشور كلا الاحتمالين: ولعل كلا الاحتمالين مراد ، وهو من بديع الإيجاز، وذلك أن نسيان يوسف عليه السلام أن يسأل الله إلهام الملك تذكر شأنه كان من إلقاء الشيطان في أمنيته، وكان ذلك سبباً إلهياً في نسيان الساقي تذكير الملك، وكان ذلك عتاباً إلهياً ليوسف عليه السلام على اشتغاله بعَون العباد دون استعانة ربه على خلاصه.

ولعل في إيراد هذا الكلام على هذا التوْجيه تلطفاً في الخبر عن يوسف

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي٣٦٤/٧ .

[٢] ينظر: تفسير روح المعاني ٤٣٨/٦ .

[٣] ينظر: تفسير القرآن لابن كثير ٣٩١/٤ ، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

عليه السلام، لأن الكلام الموجه في المعاني الموجهة ألطف من الصريح .[1]

فالمفسرون رجح بعضهم عود الضمير على الساقي، والبعض الآخر على يوسف عليه السلام، ولكل منهما أدلته، ولكن العلامة ابن عاشور جعله من الكلام الموجه؛ ليجمع بين عبارتي المفسرين، وكون النص يحتملهما، وذلك من روعة البيان القرآني التعبير بحالين في تعبير واحد.

[1] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٧٩/١٢ .

المسألة الرابعة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾

قال تعالى:﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ القصص : ١٢

البيان القرآني يبين مشهدا من مشاهد سيدنا موسى عليه السلام في بيت فرعون من إباء المرضعات، وقول أخته ﴿ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾، واختلف المفسرون في عود الضمير ﴿ **وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾ على قولين :

الأول : يحتمل أن الضمير يعود على موسى .

الثاني : ويحتمل أن يعود على فرعون .

القول الأول : عود الضمير على موسى

فبعض المفسرين أعاد الضمير على موسى عليه السلام كابن عطية وأبي حيان: فالضمير يعود على موسى، ويكون النصح له بسبب الملك، حرصاً على التزلف إليه والتقرب منه، وفي الكلام حذف يقتضيه الظاهر، وهو أنها حملتهم إلى أم موسى وكلموها في ذلك فدرت عليه وقبلها وحظيت بذلك وأحسن إليها وإلى أهل بيتها .[1]

القول الثاني : عود الضمير على فرعون

بعض المفسرين ذكروا أن الضمير في قوله ﴿ **وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾يعود على فرعون، لتبعد أخت موسى الشبهة عن أن تكون أمه في هذا البيت، خوفا

[1] ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٢٧٩/٤ ، تفسير البحر المحيط ٢٩١/٨ .

على أخيها وأمها.

فلما شعرت بأنهم تفرسوا أنها عرفته، قالت: إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به.

وقيل: إنها : لما قالت ذلك قالوا لها من ؟ فقالت: أمي، قالوا: ولأمك ابن، قالت: نعم هارون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا: صدقت، فائتينا بها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها بحال ابنها، وجاءت بها إليهم، فلما وجد الصبي ريح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه رياً.

فقالوا: أقيمي عندنا.

فقالت: لا أقدر على فراق بيتي إن رضيتم أن أكفله في بيتي وإلا فلا حاجة لي به وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها[1].

فظاهر ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾، يدل على أن أهل البيت يعرفونه، وقال هامان: إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت ﴿وَهُمْ﴾ للملك أي: لفرعون ناصحون، فخلصت بذلك من الشر الذي يجوز لمثله الكذب وأحسنت وليس ببدع لأنها من بيت النبوة فحقيق بها ذلك .

واحتمال الضمير لأمرين مما لا تختص به اللغة العربية بل يكون في جميع اللغات على أن الفراعنة من بقايا العمالقة وكانوا يتكلمون بالعربية فلعلها

---

[1] ينظر: تفسير الدر المصون ٦٥٥/٨ ، تفسير اللباب لابن عادل ٢٢٣/١٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م .

كلمت بلسانهم ويسمى هذا الأسلوب من الكلام الموجه .[١]

فبعض المفسرين بين عود الضمير على موسى والبعض الآخر على فرعون، ولكن نص العلامة السمين الحلبي والزركشي وابن عادل و الآلوسي على أنه من الكلام الموجه، فالضمير في ﴿ لَهُ ﴾ يحتمل أن يكون لموسى، وأن يكون لفرعون.

وبهذا تخلصت أخت موسى من قولهم: إنك لتعرفه فقالت: أردت ناصحون للملك، دفعا لاتهامها بمعرفته.[٢]

ولو أريد أحدهما لخصصه القرآن، ولكن البيان القرآني جاء بتعبير يقوم مقام جملتين و موضع، نصح موسى عليه السلام ، ونصح فرعون بأسلوب موجز معجز يجمع بين المعنيين.

---

[١] ينظر: تفسير روح المعاني ٢٦٠/١٠ .

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣١٦/٢ .

المسألة الخامسة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ مَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ المجادلة : ١٤

الآيات تبين تآمر المنافقين وتعرض صفاتهم للمسلمين، والضمير في ﴿ مَا هُمْ ﴾ يحتمل عوده إلى أحد اثنين :

الأول : ﴿ الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ وهم المنافقون.

الثاني : ﴿ قَوْمًا ﴾ وهم اليهود.

الأول : ﴿ الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ وهم المنافقون

فقد أخبر القرآن عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص، ولا من الكافرين الخلص، بل هم كقوله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلك ﴾ والضمير في قوله ﴿ مَا هُمْ ﴾ يعود على ﴿ الَّذِينَ تَوَلَّوْا ﴾ و هم المنافقون [١]، فهؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون و لا من الذين يوالونهم و هم اليهود[٢].

الثاني : ﴿ قَوْمًا ﴾ وهم اليهود

وذهب بعض المفسرين أن الضمير في قوله ﴿ مَا هُمْ ﴾ يعود على اليهود ، والضمير في قوله: ﴿ مِنْهُمْ ﴾ يعود على المنافقين .

---

[١] ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٢٥٣/٤ ، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ ، تفسير الدر المصون للسمين الحلبي ٢٧٣/١٠ ، دار القلم، دمشق .

[٢] ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢/٨ .

يعنى: أن اليهود ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا من المنافقين، ومع ذلك تولاهم المنافقون، فهم تولوا مغضوباً عليهم، ليسوا من أنفسهم فيلزمهم ذمامهم، ولا من القوم المحقين فتكون الموالاة صواباً [١].

وبين العلامة ابن عاشور كلا الاحتمالين ثم قال: ومراد على طريقة الكلام الموجه تكثيراً للمعاني مع الإيجاز فيفيد التعجيب من حال المنافقين أن يتولوا قوماً أجانب عنهم على قوم هم أيضاً أجانب عنهم، على أنهم إن كان يفرق بينهم وبين المسلمين اختلاف الدّين فإن الذي يفرق بينهم وبين اليهود اختلاف الدين واختلاف النسب؛ لأن المنافقين من أهل يثرب عرب ويفيد بالاحتمال الآخر الإخبار عن المنافقين بأن إسلامهم ليس صادقاً، أي ما هم منكم أيها المسلمون وهو المقصود .

ويكون قوله: ﴿ **وَلا مِنْهُمْ**﴾ على هذا الاحتمال احتراساً وتتميماً لحكاية حالهم، وعلى هذا الاحتمال يكون ذم المنافقين أشد لأنه يدل على حماقتهم إذ جعلوا لهم أولياء مَن ليسوا على دينهم فهم لا يوثق بولايتهم وأضمروا بغض المسلمين فلم يصادفوا الدين الحق .[٢]

فابن عاشور يجعله من الكلام الموجه الذي يكثر المعاني من تصوير بعدهم عن المؤمنين واليهود، فهؤلاء ليسوا منكم أيها المؤمنون، و لا من اليهود، أما أنهم ليسوا من المؤمنين فقد بعد بهم نفاقهم عن دائرة المؤمنين، و أما أنهم ليسوا من اليهود، فلأنهم من مشركي العرب الذين دخلوا في الإسلام بألسنتهم.

---

[١] ينظر: تفسير الدر المصون ٢٧٣/١٠ ، تفسير البحر المحيط ١٢٩/١٠، تفسير روح المعاني ٢٢٦/١٤ .

[٢] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٤٨/٢٨ .

ووصف جرمهم لتوليهم اليهود وهم ليسوا من المؤمنين، فتخير تعبيرا يقع عليه المعنيان، مؤتلفا متمكنا؛ لا ينازع فيها إلى غير موضعه؛ فجمع بين فعلهم ونعت سبيلهم بأسلوب موجز وتعبير دقيق .

المسألة السادسة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ الصف : ٦

البيان القرآني يوضح تكذيب بني إسرائيل لرسالة عيسى عليه السلام ومخالفتهم له، ثم جاء قوله ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ واختلف في عود الضمير على قولين :

الأول : إلى النبي محمد ﷺ .

الثاني : إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

الأول : إلى النبي محمد ﷺ .

بعض المفسرين احتمل عود الضمير إلى ﴿أَحْمَد﴾ ﷺ ، فلما فرغ من كلام عيسى عليه السلام، تطرق إلى الإخبار عن أحمد– صلى الله عليه وسلم–، وذلك على سبيل الإخبار للمؤمنين، أي: فلما جاء المبشر به هؤلاء الكفار بالمعجزات الواضحة والحجج الباهرة بادروه التكذيب وقالوا: إن ما جاءهم به إن هو إلا سحر ظاهر، فالسياق يركّز الحديث فيها على رسالة الإسلام ورسوله الكريم.[1]

الثاني : إلى المسيح عيسى ابن مريم

يحتمل أن يعود الضمير إلى عيسى عليه السلام؛ لأنه المحدث عنه، وتكون الآية

---

[1] ينظر: تفسير البحر المحيط ١٠/١٦٦ .

وما بعدها تمثيلاً بأولئك لهؤلاء المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم [١] ، فلما جاء عيسى – عليه السلام – إلى بنى إسرائيل بالآيات البينات الدالة على صدقه، قالوا على سبيل العناد والجحود: هذا سحر واضح في بابه.

فالضمير في قوله ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ قيل: هو عيسى عليه السلام، وقيل: هو محمد ﷺ ، ويدل على أن الذي جاءهم بالبينات جاءهم بالمعجزات والبينات التي تبين أن الذي جاء به إنما جاء به من عند الله[٢].

ويبين ابن عاشور الاحتمالين بقوله: فإن المتبادر أن يعود ضمير الرفع في قوله:﴿**جاءهم**﴾ إلى عيسى عليه السلام، وأن يعود ضمير النصب إلى الذين خاطبهم عيسى عليه السلام، والتقدير: فكذبوه، فلما جاءهم بالمعجزات قالوا هذا سحر أو هُو ساحر .

ويحتمل أن يكون ضمير الرفع عائداً إلى رسول يأتي من بعدي، وضمير النصب عائداً إلى لفظ بني إسرائيل ، أي بني إسرائيل غير الذين دعاهم عيسى عليه السلام من باب: عندي درهم ونصفه، أي نصف ما يسمّى بدرهم، أي فلما جاءهم الرسول الذي دعاه عيسى باسم أحمد بالبينات، أي دلائل انطباق الصفات الموعود بها قالوا هذا سحر أو هذا ساحر مبين.

ثم يقول: فيكون هذا التركيب مبين من قبيل الكلام الموجه، وحصل أذاهم بهذا القول لكلا الرسولين، فالجملة على هذا الاحتمال تُحمل على أنها اعتراض بين المتعاطفات وممهدة للتخلص إلى مذمة المشركين وغيرهم ممن لم يقبل

---

[١] ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٣٠٣/٥ .

[٢] ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٥٢٩/٢٩ ، تفسير أحكام القرآن للقرطبي ٨٤/١٨ .

دعوة محمد صلى الله عليه وسلم .[1]

فالتعبير جمع بين ما حدث للنبيين الكريمين من اعتراضات قومهما لما جاؤهم بالبينات، وصور حالهما بأسلوب بين مقول القومين مع امتداد الزمان بتعبير موجز معجز.

[1] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٨٧/٢٨ .

المبحث الثاني

احتمال الاشتقاق أمران

ويشتمل على المسائل التالية:

- ✓ **المسألة الأولى:** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ﴾
- ✓ **المسألة الثانية :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى ـ ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾
- ✓ **المسألة الثالثة :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾
- ✓ **المسألة الرابعة :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾
- ✓ **المسألة الخامسة :** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾
- ✓ **المسألة السادسة:** ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿الْمُكْرَمِينَ﴾

اختلاف الاشتقاق أحد روافد ثراء المعاني التفسيرية، ومنبع كنوز مكنونة في اللفظ الواحد، فالاشتقاق الذي عرفه العلماء: أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة[١] ، أي: رد اللفظ إلى آخر لموافقته له في الحروف الأصلية، ومناسبته له في المعنى ؛ أنفع العلوم وأدقها، وأوسعها في المعاني كما يقول الإمام الزركشي: الاشتقاق من أشرف علوم العربية وأدقها .[٢]

ولا سبيل للتفصيل في أنواع الاشتقاق الصغير أو الأصغر، والكبير، والأكبر، والكُبار ؛ لتحقق مفهوم الاشتقاق في كل،[٣] فالكلمة إذا كان اشتقاقها من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

وقصدي بمواضع البحث ما احتمل معنيين فكان من التوجيه أو الكلام الموجه مثل: احتمال الاشتقاق جذران كما في المسألتين: الأولى والثانية ، أو احتمال الصيغة الصرفية وجهان كما في المسألتين: الثالثة والرابعة، أو احتمال بناء ما لم يسم فاعله وجهان كما في المسألة : الخامسة، أو اختلاف الوصفية كما في المسألة : السادسة .

---

[١] ينظر: المزهر في علوم اللغة للسيوطي ٣٦٤/١، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

[٢] ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٣١٢/٢، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

[٣] ينظر: علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا د/ محمد حسن جبل صـ ٤٠، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩م .

المسألة الأولى : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ﴾

قال تعالى :﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الأنعام : ١٣٤

الآيـة الكريمـة تبين أن وعـد الله حق، وجـاء البيـان القرآني بـالفعـل ﴿**تُوعَدُونَ**﴾ والمختلف في جذر اشتقاقه على قولين :

أ – وعد المستعمل في الشر و في الخير.

ب – أَو من أَوعد بالهمزة ولا يستعمل إلا في الشر.

ومن الاختلاف في الاشتقاق احتمل معنيين :

الأول : الوعد بالخير .

الثاني : الوعيد بالشر.

إن كان ﴿ **تُوعَدُونَ** ﴾ مضارع لوعد الثلاثي غلب استعماله في الخير والنفع وهو في أصل اللغة وفي استعمال القرآن شامل لهما .

و إن كان لأوعد الرباعي غلب استعماله في الشر .

وقد ذكر الاحتمالين الإمام القرطبي: يحتمل أن يكون من أوعدت في الشر، والمصدر الإيعاد، والمراد عذاب الآخرة، ويحتمل أن يكون من وعدت على أن يكون المراد الساعة التي في مجيئها الخير والشر فغلب الخير.[١]

فجمعت بين حال المؤمنين والمشركين وذلك من بديع الإعجاز كما ذكر ابن عاشور بأن هذا من بديع التّوجيه المقصود منه أن يأخذ منه كلّ فريق من

---

[١] ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٨/٧ ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

السامعين ما يليق بحاله، ومعلوم أن وعيد المشركين يستلزم وعداً للمؤمنين، والمقصود الأهمّ هو وعيد المشركين، فلذلك عقّب الكلام بقوله: ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ فذلك كالتّرشيح لأحد المحتمَلين من الكلام الموجَّه .[١]

فابن عاشور رشح أحد المعنيين بقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ** ﴾ وهو الوعيد، ولكن قبلها أكد إذا كان وعيدا للمشركين فهو يحتمل معنى الوعد للمؤمنين.

وأكد المولى سبحانه وتعالى إثبات الذي أوعدوا به بـ ﴿ **إِنَّ** ﴾ وبالجملة الاسمية وباللام في قوله ﴿ **لآتٍ** ﴾ وجاء الكلام بالبناء للمفعول؛ لمزيد التهديد بإبهام الوعيد وعدم ذكره ليذهب فيه العقل كل مذهب، وبعدم ذكر ما أوعد وهو معلوم؛ ليزدادوا خوفا فيضعفوا عن المقاومة ويؤمن من كتب الله تعالى الإيمان له ويستمر في غيه من كتب الله العقاب له .[٢]

ففي الكلام تأكيد للوعد والوعيد، وجعل الزركشي فصل ما عن إنّ لذلك، فتحت عنوان / في الفصل والوصل، يقول: "اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلماته في الخط. كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط كما تفصل كلمة عن كلمة، فمنه "إنما" بالكسر، كله موصول إلا واحدا ﴿ **إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ** ﴾ ؛لأن حرف "ما" هنا وقع على مُفَصّل، فمنه خير موعود به لأهل الخير ومنه شر موعود به لأهل الشر،

---

[١] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٨٨/٨.

[٢] ينظر: زهرة التفاسير ٢٦٨١/٥ .

فمعنى "ما" مفصول في الوجود والعلم[1].

فاختلاف الاشتقاق قام مقام تصوير جملتين حال المؤمنين، وحال المشركين، بين حالهم ومآلهم؛ وذلك من بديع الفصاحة؛ ليصلح لحال المؤمنين والمشركين، بخلاف ما لو بني للمعلوم لتعيّن فيه أحد الأمرين: بأن يقال: إنّ ما نعدكم، أو إنّ ما نُوعدكم فجاء بما يحتمل المعنيين بتعبير موجز معجز.

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤١٧/١.

المسألة الثانية : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾

قال تعالى :﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ هود : ٥٧

الخطاب القرآني في قوله ﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ احتمل معنيين :

الأول : على كون تولوا فعل ماضي فهو خطاب قوم هود.

الثاني : على كون تولوا فعل مضارع حذف منه أحد التائين فهو خطاب مشركي مكة .

فالفعل ﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ أصله : تتولوا ، و إذا ابتدأ فعل بتاءين يقتصر على تاء واحدة، وهكذا يكون المعنى: إن تتولوا فقد أبلغتكم المنهج الذي أرسلت به إليكم، ولا عذر لكم عندي؛ لأن الحق سبحانه لا يعذب قوما وهم غافلون ؛ لذلك أرسلني إليكم ، فالخطاب للحاضرين من مشركي مكة.

أو﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ فعل ماض، معناه : فإن أعرضوا، وفي الآية إضمار: فإن أعرضوا فقل لهم: قد أبلغتكم .

و الخطاب من الله سبحانه لهود عليه السلام ليبين له: فإن تولوا فقل لهم: ﴿ **أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ** ﴾ هود : ٥٧[1].

فهي حكاية ما قال هود لقومه: فإن أدبرتم عن ما دعوتكم إليه، وأعرضتم فقد أبلغتكم ما أمرت به، وقامت عليكم الحجة في تبليغي رسالة ربكم، فهو

---

[1] ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٢١٩/٤، تفسير الشعراوي ٦٥١١/١١ .

يهلككم، ثم يستخلف قوما غيركم.[1]

وابن عاشور يرى :

الخطاب لقوم هود على كون تولوا فعل مضارع .

لمشركي مكة على كون تولوا فعل ماضي .

فإن تولوا تفريع على جملة ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ** ﴾ هود : ٥٤ ؛ لأنّ مضمون هذه الجملة تفصيل لمضمون جملة ﴿ **إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ** ﴾ هود : ٥٤ بناء على أنّ هذا من كلام هود عليه السلام، وعلى هذا الوجه يكون أصل ﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ تتولوا فحذفت إحدى التّاءين اختصاراً، فهو مضارع، وهو خطاب هود عليه السّلام لقومه، وهو ظاهر إجراء الضمائر على وتيرة واحدة .

ويجوز أن تكون فعلاً ماضياً ، والواو لأهل مكّة فيكون كالاعتراض في إجراء القصة لقصد العبرة بمنزلة الاعتراض الواقع في قصّة نوح عليه السّلام بقوله : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ** ﴾ هود : ٣٥ الآية . خاطب الله نبيّه صلى الله عليه وسلم وأمره بأن يقول لهم : ﴿ قد أبلغتكم ﴾، والفاء الأولى لتفريع الاعتبار على الموعظة وتكون جملة ﴿ **فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ** ﴾ من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مقولَ قول مَأمور به محذوف يدلّ عليه السياق. والتقدير : فقل قد أبلغتكم .[2]

وقال أبو حيان: الضمير في تولوا عائد على قوم هود، وخطاب لهم من

---

[1] ينظر: تفسير زاد المسير لابن الجوزي٣٨١/٢ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ ، مفاتيح الغيب ٣٦٥/١٨ ، تفسير الدر المصون ٣٤٤/٦ .

[2] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠٢/١٢ .

تمام الجمل المقولة قبل.

وقال التبريزي: هو عائد على كفار قريش ، وهو من تلوين الخطاب، انتقل من خطاب قوم هود إلى الإخبار عمن بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكأنه قيل: أخبرهم عن قصة قوم هود، وادعهم إلى الإيمان بالله لئلا يصيبهم كما أصاب قوم هود ، فإن تولوا فقل لهم: قد أبلغتكم [1].

وهذا الأسلوب من قبيل الكلام الموجّه المحتمل معنيين غير متخالفين، وهو من بديع أساليب الإعجاز، ولأجله جاء فعل ﴿ **تَوَلَّوْا** ﴾ بتاء واحدة بخلاف ما في قوله: ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ محمد : ٣٨ .[2]

فاختلاف الاشتقاق بين حال قومين، قوم سيدنا هود– عليه السلام –، وسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – في تعبير موجز؛ ليشمل تصوير الإخبار عن قوم هود، ومن بحضرة النبي– صلى الله عليه وسلم .

---

[1] ينظر: تفسير البحر المحيط ١٦٩/٦ .

[2] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٠٢/١٢ .

المسألة الثالثة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾

قال تعالى:﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾النساء: ٤٦

الآية الكريمة تخبر عن تلاعب اليهود بالألفاظ مع النبي ﷺ ، فيظهرون له الدعاء بالخير، ويريدون الشر.

وحدثنا البيان القرآني عن أحد ألفاظهم ﴿**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾، فيقولون له: اسمع منا غير مسمع وهي تحتمل معنيين :

الأول : معنى الذم: أي اسمع لا أسمعك الله أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه .

الثاني : معنى المدح : اسمع غير مسمع مكروهاً

الأول :– معنى الذم.

فجل المفسرين بينوا **أن** ﴿**وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾كلام يحتمل معنيين أحدهما الذم والآخر المدح وفي معنى الذم ذكروا مقصود اليهود إذا خاطبت النبي ﷺ بغير مسمع بكونها أرادت في الباطن الدعاء عليه، ورأت ظاهراً إظهار تعظيمه مضمِرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به [1].

[1] ينظر: تفسير المحرر الوجيز ٦٢/٢ ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ١٨٣/٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى.

وهذا الوجه خرجت عليه المعاني المحتملة للذم:

١ – اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت؛ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع فقالوا ذلك اتكالاً على أنّ قولهم لا سمعت دعوة مستجابة.

٢ – أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أي: غير مسمع جواباً يوافقك، فكأنك لم تسمع شيئاً .

٣ – أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: اسمع، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت، فقوله: ﴿**غَيْرَ مُسْمَعٍ**﴾ غير سامع، فإن السامع مسمع، والمسمع سامع .

٤ – غير مسمع غير مقبول منك، فلا تجاب إلى ما تدعو إليه، فأنت غير مسمع جوابا يوافقك، فكأنك ما أسمعت شيئا .

٥ – اسمع غير مسمع كلاما ترضاه، ومتى كان كذلك فإن الإنسان لا يسمعه لنبو سمعه عنه ..، وكانوا يذكرونها لغرض الشتم .[١]

الثاني :– معنى المدح .

يحتمل المدح ، أي :اسمع غير مسمع مكروهاً، من قولك : أسمع فلان فلاناً إذا سبه.

فالآية تكشف تلبيس اليهود الكلام، يلون ألسنتهم بالكلمات، ويزيلون معانيها، ويجعلون ظاهرها غير باطنها، فيستعملون كلاما محتملا معنيين،

---

[١] ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ٥١٧/١ ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ مفاتيح الغيب للرازي ٩٣/٢١٠ .

وذو وجهين وقد صرح بذلك الزمخشري ونظام الدين النيسابوري: بأنه قول ذو وجهين، يحتمل الذمّ أي اسمع منا مدعوا عليك- بلا سمعت- لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع.

قالوا ذلك اتكالا على أنّ قولهم- لا سمعت- دعوة مستجابة أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه. و معناه غير مسمع جواباً يوافقك، فكأنك لم تسمع شيئا. أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه، فسمعك عنه ناب.

و يحتمل المدح، أي اسمع غير مسمع مكروهاً، من قولك: أسمع فلان فلانا إذا سبه.[1]

ونبه ابن عاشور على هذا المعنى: فهذه الكلمة كانت معروفة الإطلاق بين العرب في معنى الكرامة و التلطّف، إطلاقا متعارفا، و لكنّهم لمّا قالوها للرسول أرادوا بها معنى آخر انتحلوه لها من شيء يسمح به تركيبها الوضعي، أي أن لا يسمع صوتا من متكلّم. لأن يصير أصمّ، أو أن لا يستجاب دعاؤه.

ثم أظهر قصدهم من إيراد كلام ذي وجهين أن يرضوا الرسول و المؤمنين و يرضوا أنفسهم بسوء نيتهم مع الرسول- عليه السلام- و يرضوا قومهم، فلا يجدوا عليهم حجّة.[2]

وصرح العلامة الآلوسي بمعناه البلاغي بأنه من النوع البديعي المسمى التوجيه .

فهو كلام ذو وجهين محتمل للشر والخير، ويسمى في البديع بالتوجيه

---

[1] ينظر: الكشاف ٥١٧/١ ، تفسير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيسابوري ٤٢٢/٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

[2] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١٤٦/٤ .

كما قاله غير واحد.

واحتماله للشر بأن يحمل على معنى اسمع مدعوا عليك بلا سمعت، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، أو اسمع نابي السمع عما تسمعه لكراهيته عليك، أو اسمع كلاماً غير مسمع إياك لأن أذنيك تنبو عنه .

واحتماله للخير بأن يحمل على معنى: اسمع منا غير مسمع مكروهاً من قولهم: أسمعه فلان إذا سبه [1].

﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال من المخاطب، أي: اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين:

يحتمل الذم؛ أي: اسمع منا مدعوّا عليك بـ: لا سمعت؛ لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع، فكان أصم غير مسمع، قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم: لا سمعت، دعوى مستجابة، أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه، ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك لم تسمع شيئا، أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه؛ فسمعك عنه نابٍ، ويجوز على هذا أن يكون ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ مفعول اسمع أي: اسمع كلاما غير مسمع إياك؛ لأن أذنك لا تعيه نُبُوًّا عنه.

ويحتمل المدح؛ أي: اسمع غير مسمع مكروها، من قولك: "أسمع فلان فلانا" إذا سَبّه.[2]

---

[1] ينظر: تفسير روح المعاني ٣/٤٦.

[2] ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني١/٣٥٠ ، دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨ م، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي ٤/٦٢٨، مكتبة الآداب– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

فاختلاف الصيغة احتمل مفعول اسمَعْ أي: اسمع كلاما غير مسمع، وهذا الكلام ذو وجهين: يعني أنه يحتمل المدح والذم فبإرادة المدح تقدر: غير مسمع مكروها، فيكون قد حذف المفعول الثاني، لأن الأول قام مقام الفاعل، وبإرادة الذم تقدر: غير مسمع خيراً [1].

فقام مقام جملتين الدعاء له أو عليه، فجمع بين معنيي المدح والذم بأسلوب موجز معجز .

[1] ينظر: تفسير الدر المصون ٣/٦٩٨ .

المسألة الرابعة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾

قال تعالى :﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ القلم : ٦

اختلف المفسرون في المراد بقوله ﴿الْمَفْتُونُ﴾ وجميعها ترجع إلى قولين:

الأول : المجنون.

الثاني : المضطرب.

الأول : المجنون

المفتون : اسم مفعول، بمعنى الفتون، وهو الذي أصابته فتنة؛ أدت إلى جنونه، والعرب كانوا يقولون للمجنون: فتنته الجن من إطلاق المفعول على المصدر المفعول، يعني سترى يا محمد ويرى أهل مكة إذا نزل بهم العذاب بأيكم المفتون ، يعني المجنون [١].

الثاني : المضطرب

المفتون جعله على بابه ، الذي اضطرب أمره واختل تكوينه وضعف تفكيره، كأولئك المشركين الذين قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم أقوالاً لا يقولها عاقل . .

وقد قال ابن عاشور: والمفتون : اسم مفعول وهو الذي أصابته فتنة ، فيجوز أن يراد بها هنا الجُنون فإن الجنون يعدّ في كلام العرب من قبيل الفتنة.

ويجوز أن يراد ما يصدق على المضطرب في أمره المفتون في عقله حيرة وتقلقلاً ، بإيثار هذا اللفظ ، دون لفظ المجنون من الكلام الموجَّه أو

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط ٤١/١٥ .

التورية ليصح فرضه للجانبين .

فإن لم يكن بعض المشركين بمنزلة المجانين الذين يندفعون إلى مقاومة النبي صلى الله عليه وسلم بدون تبصر يكنْ في فتنة اضطراب أقواله وأفعاله كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهما الذين أغروا العامة بالطعن في النبي صلى الله عليه وسلم بأقوال مختلفة .[1]

فاختلاف صيغة اسم المفعول بمعنى المصدر أو الإبقاء على أصله فقام مقام تعبيرين، فجمع بينهما بتعبير موجز معجز .

[1] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٦٦ .

المسألة الخامسة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾

قال تعالى :﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ البقرة : ٢٨٢

البيان القرآني في قوله تعالى :﴿ **وَلَا يُضَارَّ** ﴾ احتمل معنيين :

الأول : معنى البناء للفاعل . الثاني : معنى البناء للمفعول.

المعنى الأول : البناء للفاعل: نهى الكاتب والشهيد عن إضرار من له الحق

فالنهى للكاتب والشهيد أن يقع منهما الضرر بالزيادة أو النقص في الكتابة أو كتمان الشهادة أو تغييرها، فأصله يضارر بكسر الراء الأولى وجعل الفعل للكاتب والشهيد، نهي لهما عن إضرار من له الحق، أما الكاتب فبأن يزيد أو ينقص أو يترك الاحتياط، وأما الشهيد فبأن لا يشهد أو يشهد بحيث لا يحصل معه نفع .[1]

المعنى الثاني : البناء للمفعول: النهي عن إضرار الكاتب والشهيد

فأصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا الكاتب والشاهد مفعولين ومعناه النهي عن الضرار بهما، وعليه يكون نهيا لصاحب الحق عن

---

[1] ينظر: تفسير الكشاف١/٣٢٧ ، تفسير مفاتيح الغيب ٧/٩٩ ، تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي ١/١٦٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ، تفسير السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ١/١٨٨ ، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، طبعة: ١٢٨٥ هـ.

إضرار الكاتب والشهيد، بأن يضرهما أو يمنعهما عن مهماتهما.[1]

و كلا الوجهين جائز في اللغة :

أحدهما: إن حمل على الفتح فهو نهي صاحب الحاجة عن الإضرار بالكاتب والشهيد بتكليفهما قضاء حاجة الغير وهما مشغولان، فلا يضار الكاتب فيدعى إلى أن يكتب وهو مشغول، لا يمكنه ترك شغله الا بضرر يدخل عليه.

والآخر: وإن حمل على الكسر فهو نهي الكاتب والشهيد عن الإضرار بصاحب الحق بتغيير الكتابة والشهادة أو الامتناع عنهما، فلا يضارر الكاتب أي لا يكتب إلا بالحق ولا يشهد الشاهد إلا بالحق، ويستوي اللفظان في الإدغام[2].

وبين الرازي أن سبب احتمال الوجهين الإدغام الواقع في ﴿**لَا يُضَارَّ**﴾:

أحدهما: أن يكون أصله لا يضارر ، بكسر الراء الأولى ، فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضرار، يضارر بكسر الراء، ثم وقع الإدغام، وفتحت الراء في الجزم لخفة الفتحة.

والثاني: أن يكون أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى، فيكون هما المفعول بهما الضرار .

وقد اختار الزجاج القول الأول، واحتج عليه بقوله تعالى بعد ذلك ﴿ **وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ**﴾ البقرة : ٢٨٢ ، قال: وذلك لأن اسم الفسق بمن يحرف

---

(١) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٩٩/٧ ، إرشاد العقل السليم ٢٧١/١ .

(٢) ينظر: لسان العرب ٤٨٢/٤ ، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن د/ محمد حسن جبل ١٢٧٧/٣، مكتبة الآداب – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

الكتابة، وبمن يمتنع عن الشهادة حتى يبطل الحق بالكلية أولى منه بمن أضر الكاتب والشهيد، ولأنه تعالى قال فيمن يمتنع عن أداء الشهادة ﴿ **وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ البقرة : ٢٨٣ ، والإثم والفاسق متقاربان .

واحتج أصحاب القول الثاني بأن هذا لو كان خطابا للكاتب والشهيد لقيل: وإن تفعلا فإنه فسوق بكم ، وإذا كان هذا خطابا للذين يقدمون على المداينة فالمنهيون عن الضرار هم .[١]

والذي يظهر أن التعبير يحتمل أن يكون الكاتب والشهيد مصدرا للإضرار، أو أن يكون المكتوب له والمشهود له مصدرا للإضرار: لأن يضار يحتمل البناء للمعلوم وللمجهول، ولعل اختيار هذه المادة هنا مقصود، لاحتمالها حكمين، ليكون الكلام موجها فيحمل على كلا معنييه لعدم تنافيهما، وهذا من وجه الإعجاز.[٢]

ولو أراد التنصيص على أحد المعنيين لفك الإدغام لأحدهما كما في قوله تعالى ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ الأنفال : ١٣ ، وقوله ﴿ **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ** ﴾ البقرة : ٢١٧ ، والتعبير القرآني أراد المعنيين :

نهى الكاتب والشهيد أن يضّار غيرهما إما بكتم الشهادة أو الامتناع عن الحضور لها .

وأراد المعنى الآخر وهو نهى أن يقع الضرر على الكاتب والشهيد ممن يضغطون عليهم لتغيير الشهادة أو تبديلها أو الامتناع عنها.

---

[١] ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٩٩/٧ .

[٢] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ١١٧/٣ .

فالمطلوب منع الضرر من الكاتب والشهيد ومنعه عنهما أيضاً في نفس الآية وبدل أن يقول ولاُ يضاَرر ولاُ يضاِرر كاتب ولا شهيد جاء بالصيغة التي تحتمل المعنيين بتعبير موجز .

المسألة السادسة: ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ الْمُكْرَمِينَ﴾

قال تعالى :﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ الذاريات : ٢٤

وصف البيان القرآني ضيف سيدنا إبراهيم بالمكرمين، واختلف المفسرون في التعبير بـ ﴿ الْمُكْرَمِينَ﴾ على قولين :

الأول: لإكرام إبراهيم لهم.

الثاني: لإكرام الله لهم.

الأول : لإكرام إبراهيم

فسر بعض المفسرين وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين، لما أكرمهم به إبراهيم بنفسه من حسن الضيافة وكريم الاستقبال، وتقديم أشهى الأطعمة وأجودها، فقد خدمهم هو وزوجه، وعجل لهم القرى، وأجلسهم في أكرم موضع، فهم ضيف إبراهيم، وهو أكرم الخلق على الله وضيف الكريم مكرمون [١] ، وذلك سنة المرسلين ودأب المهتدين. وقد تسأل الرازي فإن قيل : بماذا أكرمهم ؟

قلنا: ببشاشة الوجه أولا، وبالإجلاس في أحسن المواضع وألطفها ثانيا، وتعجيل القرى ثالثا، وبعد التكليف للضيف بالأكل والجلوس وكانوا عدة من الملائكة [٢].

---

[١] ينظر: تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ١٩٤/٤، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ التفسير الوسيط ٢٠/١٤.

[٢] ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ١٧٤/٢٨ .

الثاني : لإكرام الله

فسر بعض المفسرين وصف ضيف إبراهيم بالمكرمين، لما لهم من عظيم الكرامة ورفيع المنزلة ، وقد جاء البيان القرآني بآيات كثيرة تصف ذلك: ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ الأنبياء : ٢٦ ، وقال : ﴿ **كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾ الانفطار : ١١ ، فهي صفة سابقة فيهم .

وقد بين ابن عاشور أن ذلك الوصف من الكلام الموجه بقوله: ووصفهم بالمكْرَمين كلام موجه لأنه يوهم أن ذلك لإكرام إبراهيم إياهم كما جرت عادته مع الضيف وهو الذي سنّ القِرى، والمقصود: أن الله أكرمهم برفع الدرجة لأن الملائكة مقربون عند الله تعالى كما قال : ﴿ **بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ** ﴾ الأنبياء : ٢٦ ، وقال : ﴿ **كِرَامًا كَاتِبِينَ** ﴾ الانفطار : ١١ [(١)] .

والبيان القرآني أشار لصفتهم أولا عند ربهم لأنهم كذلك عند الله، ونوه إلى إكرام إبراهيم لهم بلفظ واحد إيجازا في التعبير مع تكثير المعاني .

فقام التعبير القرآني مقام جملتين إكرام الله أو إكرام إبراهيم، فجمع بين المعنيين بأسلوب موجز معجز.

[(١)] ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٥٨/٢٦ .

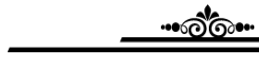

الخاتمة والفهارس

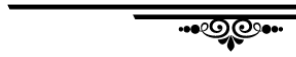

الخاتمة

الحمد لله بدءا واختتاما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للنبيين خاتما وإماما، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث – الذي أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم – وبعد هذه الرحلة الماتعة مع الكلام الموجه في القرآن الكريم، الذي يدرك أثره كل قارئ، ولا يستطيع وصفه ولا تعريفه، أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها:

❁ التوجيه أو الكلام الموجه ما احتمل معنيين فقط .

❁ مقصد التوجيه تكثير المعاني في التعبير الواحد، فيقوم مقام جملتين وعبارتين .

❁ الاختلاف في معنيي التوجيه اختلاف تنوع .

❁ الجمل القرآنية تفهم بمعاني متعددة يختلف بعضها عن بعض ، ويكون جميعها مرادا.

❁ التوجيه يحتمل المعنيين دون تمييز أو ترجيح لأحدهما على الآخر.

❁ الاتيان بأكثر من معنى يحتمله التعبير بدقة؛ دليل إعجاز القرآن.

❁ أكثر أوجه التوجيه احتمال عود الضمير على معنيين .

❁ اختلاف الجذر اللغوي للمفردة يعطي معنى مختلف لكل جذر غير الآخر فيكثر المعنى.

❁ للكلام الموجه أسباب منها: احتمال الصيغة صرفية، المحذوف، والوصفية معنيان، وهناك بعض الأسباب التي تركها البحث لتكون نواة بحث

للمشتغلين بالدراسات القرآنية لم يتسع لها كاختلاف القراءات، والخطاب، والقول، والتشبيه ونحوها.

التوصيات :

أوصي بدراسات مشاريع كاملة للقرآن مثل :

۞ مشروع احتمال عود الضمير على معنيين دراسة على سور القرآن .

۞ مشروع احتمال الجذر الاشتقاقي معنيان دراسة على سور القرآن أو معاجم كلمات القرآن.

۞ مشروع معاني احتمالات الصيغ الصرفية في القرآن.

فهرس المراجع

الأضداد لقطرب ، دار العلوم – الرياض ، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م .

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصـــطفى صـــادق الرافعي ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة ٢٠٠٥ م .

إعراب القرآن للنحاس ، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.

الإيضـــاح في علوم البلاغة للقزويني، دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨ م.

البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـــ – ١٩٩٤م.

البرهان في علوم القرآن للزركشي دار إحياء الكتب العربية –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

بغية الإيضـــاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصـــعيدي ، مكتبة الآداب– القاهرة، الطبعة: السابعة عشر ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م.

تاج العروس للزبيدي ، دار الهداية.

تحرير التحبير في صـــناعة الشـــعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصـــبع، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية– مصر.

تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى.

تفسير البحر المحيط لأبي حيان دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

تفســير التحرير والتنوير لابن عاشــور ، الدار التونســية للنشــر – تونس ، الطبعة:

١٩٨٤ هـ .

تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

تفسير الدر المصون للسمين الحلبي، دار القلم، دمشق.

تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق – القاهرة، طبعة: ١٢٨٥ هـ.

تفسير الشيخ/ الشعراوي، ، مطابع أخبار اليوم – القاهرة ، طبعة : ١٩٩٧ م .

تفسير القرآن لابن كثير، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .

تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ.

تفسير اللباب لابن عادل، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م .

تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

تفسير النكت والعيون للماوردي ، دار الكتب العلمية – بيروت.

التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة : الأولى ١٩٩٧م.

تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

تفسير جامع البيان للطبري، مؤسسة الرسالة–بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ –

٢٠٠٠ م .

تفســـير زاد المســـير لابن الجوزي، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .

تفسير زهرة التفاسير للشيخ/ محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي–بيروت.

تفســـير غرائب القرآن و رغائب الفرقان للنيســـابوري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.

تفســـير لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

تفســـير محاســـن التأويل للقاســـمي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

تفســـير مفاتيح الغيب للرازي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٢٠ هـ.

التنبيه على الأســـباب التي أوجبت الاختلاف بين المســـلمين لأبي محمد البطليوســـي ، دار الاعتصام، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

حاشـــية الصـــاوي على تفســـير الجلالين طبعة مصـــطفى الحلبي ، الطبعة : الأولى ١٩٢٦ م.

خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، دار الهلال–بيروت، الطبعة: ٢٠٠٤م .

خزانة الأدب ولب لباب لســـان العرب للبغدادي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة: الرابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

الخصائص لابن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة .

دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور/ محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث- القاهرة.

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، دار الكتب المصرية- القاهرة، طبعة ١٩٥٠م.

ديوان محمد بن حازم الباهلي، دار قتيبة – دمشق، طبعة :١٩٨٢ م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة:الأولى ١٤١٥ هـ.

شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب ، جامعة قار يونس – ليبيا، طبعة: ١٣٩٥ – ١٩٧٥ م.

شرح عقود الجمان في علمي المعاني والبيان للسيوطي ، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة : الأولى ٢٠١١ م .

صحيح الإمام البخاري، دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

علم الاشتقاق نظريا وتطبيقيا د/ محمد حسن جبل صـــــ ، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ ، ٢٠٠٩م

فصول في أصول التفسير د/ مساعد الطيار ، دار ابن الجوزي ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ.

الفوائد: المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٢٧ هـ .

لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى،

١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

المعجم الاشـــتقاقي المؤصـــل لألفاظ القرآن د/ محمد حســـن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

معجم القراءات لعبد اللطيف الخطيب ، دار ســعد الدين – دمشــق ، الطبعة : الأولى ٢٠٠٢م .

مفتاح العلوم للسكاكي ، دار الكتب العلمية– بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـــ – ١٩٨٧ م .

مقاييس اللغة لابن فارس ، دار الفكر ، طبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

مقدمة تفســـير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع وإعجاز القرآن ، مكتبة الخانجي – القاهرة .

الموافقات للشاطبي ، دار ابن عفان السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

النبأ العظيم د/ محمد دراز ، دار طيبة – الرياض ،الطبعة : الأولى ١٩٩٧ م .

النشر في القراءات العشر لابن الجزري ،المكتبة التجارية – مصر.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي ، المكتبة التوفيقية – مصر .

فهرس الموضوعات

ملخص الكلام الموجه في القرآن الكريم ١٧١
Directed speech in the Holy Quran ١٧٣
مقدمة ١٧٥
تعريف الكلام الموجه ١٧٨
ثانيا : تعريف التوجيه عند البلاغيين ١٨٠
ثالثا : تعريف التوجيه عند أهل التفسير ١٨١
رابعا : الفرق بين التوجيه والمصطلحات القريبة ١٨٢
خامسا : مكانة التوجيه وأهميته ١٨٦
احتمال عود الضمير على معنيين ١٩٠
المبحث الأول ١٩٠
المسألة الأولى: ما احتمل معنيين في قوله تعالى ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ ﴾ .. ١٩٢
المسألة الثانية : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ ١٩٨
المسألة الثالثة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ﴾ ٢٠١
المسألة الرابعة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ٢٠٥
المسألة الخامسة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ مَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾ ٢٠٨
المسألة السادسة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ... ٢١١
المبحث الثاني ٢١٤
احتمال الاشتقاق أمران ٢١٤
المسألة الأولى : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لآتٍ ﴾..... ٢١٦

المسألة الثانية : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ ٢١٩
المسألة الثالثة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ ٢٢٢
المسألة الرابعة : ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾..... ٢٢٧
المسألة الخامسة:ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾.. ٢٢٩
المسألة السادسة: ما احتمل معنيين في قوله تعالى﴿ الْمُكْرَمِينَ﴾ ٢٣٣
الخاتمة ٢٣٦
فهرس المراجع ٢٣٨
فهرس الموضوعات ٢٤٣